

رجال من بني عبد شمس أبو العاص بن الربيع (جرو البطحاء)

أ.م.د. نهال خليل يونس الشرابي
جامعة الموصل/ كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : 2007/10/3 ؛ تاريخ قبول النشر : 2007/12/31

ملخص البحث :

أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . من رجال مكة وتجارها المعدودين ، والمعروفين بأمانتهم ، وصدقهم ووفائهم . كان يلقب بـ (الأمين) ، كما انه لقب بـ (جرو البطحاء) ، صاهر بني هاشم بزواجه من السيدة زينب ابنة رسول الله ﷺ . وقد كان الرسول ﷺ يحبه كثيراً ، ويحب أولاده ، وخاصة ابنته أمامة . كان الرسول ﷺ يمدحه دائماً ويثني عليه ، ويقول : "ما ذمنا صهر أبي العاص" ، فقد كان كريماً ، وفياً ، ذا خصال نبيلة ، امتاز بها منها شهامته ، وصدقته . بقي على شركه عندما نزلت الرسالة على الرسول محمد ﷺ ، في حين أن زوجته أسلمت ثم هاجرت إلى أبيها في المدينة . أسلم قبيل الفتح ، وقد كان ذلك تقريباً في سنة (628هـ/7م)، وهاجر إلى المدينة ، حيث أعلن إسلامه وثبته . توفيت زوجته السيدة زينب (رضي الله عنها) سنة (629هـ/8م). في حين توفي هو في سنة (633هـ/12م)، في خلافة الصديق ﷺ أبو بكر .

Men from Beni Abd Shams Abula'as Bin Al- Rabee (The Puppy of the Desert)

Assistant Prof. Dr. Nehal Khalil Al-Sharaby
Mosul University / College of Education

Abstract:

His full name is Muhasham Bin Al-Rabee , Bin Abduloza, Bin Abdushams , Bin Abdumanaf , Bin Qusay , Bin Kilab , nicknamed as (Abula as).

People used to call him as Al-Ameen (trust worthy) , and jarw Assahraa (The puppy of the desert). Men like him were rave in Mecca.

He was, in Mecca, a well-known Merchant for his trust worth ship , sincerity , and loyalty .

He Married Zainab (May Allah be Satisfied unto her), the daughter of the prophet Mohammed (Peace be upon him). When the mission was descended to Mohammed , his wife embraced Islam first , then she emigrated towards her father in AL-Madinah .

Her husband did not embrace Islam at that time . After that , Abula'as declared his Islam before the Fatah (the Conquest of Mecca) by (7 A.H – 628 A.B) and emigrated toward the Madinah , where he declined his Islam.

Abula'as died in (12 A.H – 633 A.B) , during the reign of the first Rashidi Caliph, Abubakr (May Allah be Satisfied unto him) .

الاسم ، النسب ، الكنية :

اسمه مهشم ، وهو من بني عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، كنيته أبو العاص⁽¹⁾ .

بالنسبة لاسمه فان الروايات تختلف فيه ، فرواية تذكر أن اسمه (القاسم) ، أو (مقسم)⁽²⁾ ، ورواية أخرى تذكر ان اسمه (مهشم)⁽³⁾ .

لقب أبو العاص بأكثر من لقب ، فقد لقب بـ (الأمين)⁽⁴⁾ ، والذي يبدو أن هذا اللقب حصل عليه بسبب سيرته الحسنة ، وأخلاقه العالية ، فقد كان كريم الشئائل ، نبيل الخصال ، من تجار مكة المعدودين بأمانتهم والثقة بهم . وقد كان صادقاً ، أميناً ، وفياً . ولابد من الإشارة إلى أن هذا اللقب كان من ألقاب الرسول ﷺ في مكة ، فهو (الصادق الأمين)⁽⁵⁾ . فقد خاطبه الله عز وجل بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)⁽⁶⁾ صدق الله العظيم ، كما ذكرت السيدة عائشة في الحديث الشريف : "كان خلقه القرآن"⁽⁷⁾ .

اللقب الآخر الذي تلقب به أبو العاص هو (جرو البطحاء)⁽⁸⁾ ، فالمقصود بها (بطحاء مكة) . ويبدو أن سبب ذلك هو لمعرفته بها ، ومعرفته بكل صغيرة أو كبيرة فيها . لأننا لا ننسى أن ألقابهم كانت مأخوذة من ضمن البيئة ، والمكان الذي عاشوا فيه . حيث ان ابن سعد يقول : "كان أبو العاص بن الربيع يسمى (جرو البطحاء) ، لأنه كان متلداً بها متوسطاً فيها يعني في

نسبه في قريش فأسلم ثم رجع إلى مكة ، ولم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً ، ثم قدم المدينة بعد ذلك " (9) .

كان جده عبد العزى له اثنان من الذكور هما الربيع ، الذي هو والده ، وربيعه الذي هو عمره (10) . تزوج الربيع من السيدة هالة بنت خويلد التي هي أخت السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، زوجة رسول الله ﷺ (11) ، فهما من بني أسد بن عبد العزى (12) ، فإذن السيدة خديجة (رضي الله عنها) تعتبر خالته .

أنجبت هالة بنت خويلد للربيع ابنه أبو العاص (13) ، وبعد وفاة الربيع ، تزوجت من أخيه ربيعة (14) ، فأنجبت له من الأولاد : عدي ، وحارثة ، ويزيد (15) . فهم إذن اخوته من أمه ، وفي الوقت نفسه هم أولاد عمه .

ومن أحفاد بني عبد العزى ، الشاعر المعروف بـ (العيلي) (16) ، وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة (17) ، وكان يقال له : (ابن عبلة الشاعر) ، وذلك نسبة إلى جدتهم (18) ، ومنهم أيضاً (محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى) (19) ، وأيضاً منهم الوليد بن يزيد بن ربيعة بن عبد العزى (20) .

بنو عبد العزى بن عبد شمس

الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس (1)

الزوجة	العشيرة	الأولاد
هالة بنت خويلد	بنو أسد	أبو العاص بن الربيع

(1) ينظر : ابن حبيب، المحبر: 99؛ الزبيري، نسب قريش: 157/5-158.

ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس (2)

الزوجة	العشيرة	الأولاد
هالة بنت خويلد	بنو أسد	عدي ، حارثة ، يزيد

(2) ينظر : ابن حبيب، المحبر: 99؛ ابن حزم، جمهرة: 78.

حياته :

زواجه من السيدة زينب (رضي الله عنها) :

صاهر أبو العاص بني هاشم بزواجه من السيدة زينب (رضي الله عنها) ، ابنة رسول الله ﷺ (21) ، سيد الخلق أجمعين ، وأمها : السيدة خديجة (رضي الله عنها) سيدة نساء قريش ، وسيدة نساء العالمين . فما أعظمه من نسب ، وأكرمه ، وأشرفه .

كان مولدها سنة ثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام ، ثم زوجها عليه الصلاة والسلام قبل البعثة لأبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ⁽²²⁾ ، لأن السيدة خديجة (رضي الله عنها) ولدت له ولده كلهم قبل أن ينزل عليه الوحي وهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، وكان يكنى بالقاسم ، والبنين هلكوا كلهم قبل الإسلام، أما البنات فأدركن الإسلام ، وهاجرن ، واتبعنه ، وآمن به عليه الصلاة والسلام ⁽²³⁾ .

كانت السيدة خديجة (رضي الله عنها) تحب أبو العاص كثيراً ، وتعهده بمنزلة ولدها فهي خالته ، كما إن أبا العاص كان من رجال مكة المعدودين مالاً ، وأمانة ، وتجارة ، فلذا طلبت من الرسول ﷺ أن يزوجه زينب (رضي الله عنها) من أبي العاص ، فوافق الرسول ﷺ ، لأنه كان يحب السيدة خديجة (رضي الله عنها) ولا يرفض لها طلب ، وقد كان ذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ، وتم الزواج ⁽²⁴⁾ . وقد كان الرسول ﷺ يحبه أيضاً ، ويمدحه دائماً حيث كان يقول عنه : "نعم الصهر" ⁽²⁵⁾ .

ويبدو إن هذه المحبة لم تكن محظ الصدفة ، وإنما كانت نابعة من مواقف هذا الرجل أبو العاص تجاه الرسول ﷺ ، وابنته زينب (رضي الله عنها) . فعندما أكرم الله محمد ﷺ بالنبوة ، آمنت به زوجته خديجة (رضي الله عنها) وبناته . ومنهم السيدة زينب (رضي الله عنها) ، ولكن زوجها أبو العاص بقى وثبت على شركه . وعندما بدأت العداوة بين الرسول ﷺ وبين قريش ، قالوا اشغلوا محمد ببناته وردوهم عليه فرد ابن أبي لهب وهو عتبة إحدى بناته إليه . وكذلك مشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، وقالوا له : "فارق صاحبك ، ونحن نزوجك أي امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذا ، لا أفارق صاحبتى وما احب أن لي بامرأتى امرأة من قريش ، وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره خيراً" ⁽²⁶⁾ ، ويمدحه حيث يقول : "ما ذمنا صهر أبي العاص" ⁽²⁷⁾ . تزوج أبو العاص من السيدة زينب (رضي الله عنها) ، فأنجبت له من الأولاد : علي ⁽²⁸⁾ ، الذي توفي في صباه ⁽²⁹⁾ ، وأمامة ⁽³⁰⁾ ، وهذه ولدت على عهد رسول الله ﷺ ⁽³¹⁾ ، وقد كان الرسول ﷺ يحبها كثيراً ⁽³²⁾ . وهي التي كان يحملها في الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ، ولعل ذلك كان بعد وفاة أمها زينب (رضي الله عنها) ⁽³³⁾ .

وقد تزوج الإمام علي بن أبي طالب ﷺ من السيدة أمامة فيما بعد ، وذلك بعد وفاة خالتها السيدة فاطمة (رضي الله عنها) ⁽³⁴⁾ .

وبعد أن توفي ، أو بالأحرى بعد أن استشهد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، تزوجت أمامة من شخص آخر يدعى (المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب) ، وتوفيت عنده ⁽³⁵⁾ .

بالنسبة لحياة ابي العاص الخاصة من ناحية زوجاته ، فانه بعد ان توفيت السيدة زينب (رضي الله عنها) ، وكان ذلك في سنة (8هـ/629م) ⁽³⁶⁾ ، تزوج بعدها من فاختة وهي ابنة سعيد

بن العاص الذي كان يلقب في مكة بـ (أبي احيحة) وهو ذو العمامة، فأنجبت له ابنة سماها (مريم) (37) .

موقفه من الدعوة الإسلامية :

لم يدخل أبو العاص في الإسلام في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية ، وقد كان إسلامه قبيل الفتح تقريباً (38) ، فعند حدوث غزوة بدر سنة (2 هـ/623م) ، خرج مع الكفار ضد المسلمين ، فقد كان من ضمن الأسرى في هذه الغزوة ، وكان من ضمن سبعة أشخاص اسروا من بني عبد شمس (39) .

أمر الرسول ﷺ بحسن معاملة الأسرى ، كما وافق على اخذ الفدية منهم ، مقابل إطلاق سراحهم (40) ، قائلاً : "استوصوا بالأسارى خيراً" (41) . وقد كان فداء الأسارى كل رجل أربعة آلاف ، أو ثلاثة آلاف ، أو ألفين ، أو ألف ، إلا قوماً لا مال لهم منّ عليهم رسول الله ﷺ ، وقد كان منهم أبو عزة الجمحي. وقد غنم الرسول ﷺ ما أصاب منهم ، واستعمل على الغنائم عبد الله بن كعب المازني ، وهو من الأنصار ، وقسمها الرسول ﷺ (بسيّر شعب بالصفراء) ، وهي من المدينة على ثلاث ليال قواصد. وسيّر: بفتح أوله وثانيه، وراء: هو كتيب بين المدينة وبدر (42). وقد منّ على البعض منهم بأن أطلق سراحه من غير فداء (43)، ما عدا أو باستثناء اثنين من الأسرى كان أمر بقتلهما لشدة عداوتهما لله ولرسوله (44).

وقد كان ابو العاص من ضمن الذين منّ عليهم الرسول ﷺ ، وأطلق سراحه من دون فداء (45) . بشرط ان يطلق سراح زينب (رضي الله عنها) ويخلي سبيلها من اجل اللحاق بابيها ﷺ في المدينة (46) . حيث كانت قد أسلمت في حين بقى ابو العاص على شركه ، ولم يستطع الرسول ﷺ التفريق بينهما ، لأنه كان مغلوباً على أمره في مكة ، ولا يستطيع التحليل أو التحريم ، ولذا فإنها بقت عند أبي العاص في مكة ، هي على دينها (الإسلام) ، وهو باقي على شركه ، وعندما قرر الرسول ﷺ الهجرة ، ومعه صاحبه أبي بكر الصديق ﷺ ، ثم هاجرا إلى يثرب (47) .

حبس ابو العاص السيدة زينب (رضي الله عنها) ، ومنعها من اللحاق بابيها ، فمكثت في مكة ، ولم تستطع الهجرة (48) ، ولكن عندما حدثت معركة بدر سنة (2 هـ/623م) ، اشترك فيها مشركاً أو كافراً ، واسر من قبل خراش بن الصمة (49) ، من بني حرام (50) ، وعندما قام أهل مكة بفداء أسراهم ، بعثت السيدة زينب (رضي الله عنها) مالاّ فيه قلادة ، كانت قد أهدتها إياها والدتها السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، عندما تزوجت السيدة زينب (رضي الله عنها) ابو العاص ، وعندما رآها الرسول ﷺ (رق لها رقة شديدة) ، ويبدو انه تذكر السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، فلماذا منّ على السيدة زينب (رضي الله عنها) ، حيث قال لأصحابه : "إن رأيتم أن

تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها ، فافعلوا ، فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها" (51) .

ومن الجدير بالذكر ان الرسول ﷺ أطلق سراح أبي العاص بن الربيع من دون قيد أو شرط ، ومن دون فدية ، وذلك بعد ان استشار أصحابه في ذلك ، وترك لهم الأمر ، بدليل النص السابق . ولكن الرسول ﷺ اشترط عليه ان يبعث السيدة زينب (رضي الله عنها) إلى المدينة بمجرد وصوله إلى مكة ، وذلك لان المسلمة لا يمكن ان تبقى بذمة المشرك (52) .

ويبدو إن الرسول ﷺ كانت ثقته عالية بصهره السابق ، وما كان يتمتع به من أمانة ، وشهامة ، ورجولة ، ووفاء للعهد ، فقد كان لقبه الأمين في مكة ، وبالفعل فانه كان أميناً ، وفيما للعهد . وكانت توقعات الرسول ﷺ في محلها ، فبمجرد وصول ابو العاص إلى مكة طلب من السيدة زينب (رضي الله عنها) أن تتجهز ، وتتهيأ للخروج من مكة إلى أبيها في المدينة ، حيث انه سمح لها بذلك ، وذلك لأن قطع على نفسه عهداً بإرجاعها إلى أبيها ، فأراد أن يوفي بوعده ، وبالفعل فقد بدأت السيدة زينب (رضي الله عنها) بتنفيذ ما طلب منها .

في الوقت نفسه فان الرسول ﷺ ، كان يدرك ما سيفعله ابو العاص ، ولذا فانه كان قد أعد العدة لهذا الأمر وتهيأ له ، حيث تذكر لنا رواية ابن هشام : "لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلي سبيله ، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، ورجلاً من الأنصار ، فقال لهما: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباهما حتى تأتياني بها" (53) .

ولابد لنا من أن نشير إلى ملاحظة مهمة جداً جاء بها المستشرق آرنجج * : حيث يقول في كتابه في هذه الصفحة : "ومن أبرز الأسرى أيضاً ، أبو العاص بن ربيعة ، وكان متزوجاً من زينب بنت محمد ، وقد حاول محمد أن يحث أبا العاص على اعتناق الإسلام ، ولكنه أبى إلا أن يبقى على كفره ، واقترح محمد عليه أن يعيده إلى مكة على أن يرسل إليه ابنته ، فوافق المشرك ، وبعث الرسول زيد بن حارثة ، معنقه المخلص ، عدة مرات إلى مكة ليحضر زينب إلى المدينة ، وظل أبو العاص رهينة في أيدي المسلمين ، حتى ينفذ الاتفاق" . هذا النص الذي كتبه المؤلف وترجم عنه .

رأينا انه علينا أن نصح هذه المعلومات ، لأن ما جاء فيها هو بعيد عن الصحيح ، سواء أكان ذلك عن عمد أو عن غير عمد ، والله أعلم بالنيات . المهم أنه أولاً هو يقصد أسرى بدر ، فأول خطأ إن أبا العاص هو ابن الربيع ، وليس ربيعة ، فربيعة عمه ، وهذا ما وضحناه في البحث في نسبه، الأمر الآخر أن الرسول ﷺ لم يجبر أبا العاص على الإسلام، ولم يجعل منه رهينة تبقى في أيدي المسلمين إلى أن ترجع زينب إلى أبيها . إننا لا نريد أن نعيد ما كتبناه في صفحات الدراسة أو البحث ، وإنما على القارئ أن يقرأ ما كتبناه بتمعن دقيق ، حتى تتوضح الأمور الصحيحة ، ويظهر بطلان ما أشار ، أو ما جاء به هذا الرجل ، والله من وراء القصد .

خروج زينب إلى المدينة :

سمح ابو العاص للسيدة زينب بمغادرة مكة ، والذهاب إلى أبيها (ﷺ) في المدينة . والذي يبدو أن خبراً من هذا النوع وصل إلى أسماع أهل مكة ، ومنهم السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ، حيث أشارت إحدى الروايات إلى أنها التقت بالسيدة زينب (رضي الله عنها) ، وقالت لها : "يا بنت محمد ، ألم يبلغني أنك تريدين اللحق بأبيك ؟ قالت : ما أردت ذلك ، فقالت : إي ابنة عمي ، لا تفعلي ، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تبغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تضطني مني - أي لا تبخلي بانبساطك إلي أو لا تستحي - فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ، قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكني خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت" (54). ولابد من الإشارة إلى أن هذه الرواية هي كانت حديث عن السيدة زينب (رضي الله عنها) حدثت بها.

وقد يبدو ومن خلال هذه الرواية أن السيدة هند كانت جادة في تقديم أية مساعدة للسيدة زينب (رضي الله عنها) ، إلا أن السيدة زينب (رضي الله عنها) كانت خائفة منها ، وهذا شيء طبيعي ، ومنطقي بحكم ما كان قد حدث من صراع مسلح وهي غزوة بدر سنة (2هـ / 623م) ، والتي قتل فيها أبو هند ، عتبة ، وعمها شيبة ، وأخوها .

وبعد أن انتهت السيدة زينب (رضي الله عنها) من ترتيب أمورها من أجل الخروج إلى المدينة (إلى أبيها) (ﷺ) ، جاءها حموها كنانة بن الربيع ، وهو كنانة بن عدي ، وقد هيا لها بعيداً للسفر لتركب عليه ، فركبت ، وأخذ كنانة قوسه وكنانته ، ثم قاد البعير ، وخرج بها نهراً ، وهي في هودجها ، وعندما علمت قريش بخروجها ، خرجوا من أجل اللحاق بها ، ومنعها من الخروج إلى (أبيها) (ﷺ) ، فوصل إليها الفهري ، ونافع بن عبد القيس ، وهبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بذي طوى ، الذي أخافها برمح كان بيده ، وهي في هودجها ، وعندما رأى ذلك كنانة ، وقد كان رجلاً شجاعاً لا يهاب أحداً ، قام بنشر كنانته ، وقال : "والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً" ، عندئذ تراجعوا عنه وعنهما ، ويقال : إنها كانت حاملاً ، ومن خشيتها رمت ما في بطنها .

وفي خضم هذه الأحداث يحضر أبو سفيان مع جماعة من قريش ، حيث يقول لكنانة : "أيها الرجل كف عنا نبك حتى نكلمك ، فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رؤس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا ، إن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وإن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة - أي ثأر - ولكن ارجع بالمرأة ، حتى

إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سراً ، وألحقها بأبيها ، قال : ففعل " ، وبقيت عدة أيام في مكة ، ثم عمل بما أشار عليه به أبي سفيان ، بعد أن هدأت الأصوات ، "خرج بها ليلاً حتى أسلمها زيد بن حارثة ، وصاحبه" ، فقدمها بها على رسول الله ﷺ (55) .

ولابد لنا من الإشارة ، ومن خلال ما سبق يمكن القول أن المحاورة الكلامية التي حدثت بين كنانة بن الربيع ، وبين أبي سفيان سيد قومه ، وزعيم الكفر ضد الرسول ﷺ ، وذلك حول خروج زينب (رضي الله عنها) إلى المدينة . هو إن ما حدث في (غزوة بدر سنة 2هـ/623م) من قتال بين الطرفين ، لم يقض على البعد الإنساني في العلاقات التي كانت بين الطرفين ، فقد ظل قائماً ، واهم مظاهره هو عدم ميل أبي سفيان إلى قطع كافة العلاقات والروابط مع الرسول ﷺ ، بموقفه المعتدل هذا تجاه ابنة خصمه (محمد ﷺ) ، ومن ثم محاولته حل المشكلة من دون إثارة أي نوع من أنواع الفتنة أو القتال .

وعندما سلم كنانة بن الربيع السيدة زينب (رضي الله عنها) لزيد وصاحبه قال في ذلك: عجبت لهبار وأوباش قومه يريـدون إخفاري ببنت محمد ولست ابالي ما حييت عيدهم وما استجمعت قبضا يدي بالمهند (56) وعن ابن اسحاق انه قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي اسحاق الدوسي ، عن أبي هريرة ، قال : "بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها . فقال لنا : إن ظفرتم بهبار بن الأسود ، أو الرجل الآخر الذي سبق معه إلى زينب وهو - نافع بن عبد القيس - فحرقوهما بالنار ، قال : فلما كان الغد بعث إلينا . فقال : إني كنت قد أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله ، فان ظفرتم بهما فاقتلوهما" (57) .

إسلام أبي العاص بن الربيع :

استمر الرسول ﷺ في خطته ، وهي مهاجمة القوافل التجارية التابعة لقريش ، لأن أهل مكة كانت التجارة عصب حياتهم ، ولذا فانه عندما سمع أن قافلة لقريش قد جاءت من الشام ، وقد كان فيها من الأموال الكثيرة لرجال قريش ، وكانت هذه القافلة يقودها ابو العاص بن الربيع ، لأنه كان رجلاً أميناً ، فأبضعوا معه هذه الأموال الكثيرة ، وقد كان ذلك قبيل الفتح (58) ، في سنة (6هـ/627م) (59) ، وعندما انتهى من تجارته رجع إلى مكة (60) ، وفي طريق العودة لقيتهم سرية لرسول الله ﷺ ، كان قد بعث بها زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص* ، فسيطرت هذه السرية على ما كان في هذه القافلة من أموال وأغراض (61) ، وفر ابو العاص هارباً ، وفي الليل عندما علم أن السرية أقبلت بأمواله على رسول الله ﷺ ، دخل على زوجته زينب (رضي الله عنها) ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله. وعندما خرج الرسول ﷺ لصلاة

الصبح ، فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء ، وقالت : "أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرمي مثواه ، ولا يخلص إليك ، فانك لا تحلين له" (62) .

رواية أخرى تذكر الحادثة من دون الخروج على المضمون ، ولكنها تذكر : أن الرسول ﷺ عندما سمع أن قافلة لقريش قد جاءت من الشام ، قام بإرسال زيد بن حارثة إليها ، وكان على رأس قوة مؤلفة من سبعين ومائة رجل إلى العيص ، وهو موضع يبعد عن المدينة حوالي سبعة أميال - فاستطاع المسلمون من السيطرة على هذه القوافل والاستحواذ عليها وأخذ كل ما كانت تحمله ، وقد كان فيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، كما قاموا أيضاً بأسر كل من كان فيها ، أي مع القافلة ، وقد كان منهم أبو العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص ، وقدموا بهم إلى المدينة ، فاستجار أبو العاص بزوجه زينب (رضي الله عنها) بنت رسول الله ﷺ ، فأجارته (63) . حيث انه دخل عليها سحراً ، أي في الليل ، وهي امرأته ، فلما صلى ﷺ (الفجر) ، قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها : "إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ! فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : فو الذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم ، المؤمنون يد واحدة على من سواهم ، يجير عليهم أديانهم ، وقد أجرنا من أجارت ، وعندما رجع الرسول ﷺ إلى منزله ، دخلت عليه ابنته زينب (رضي الله عنها) ، وطلبت منه أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ، ففعل ، وأمرها ألا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركاً" (64) .

وتشير رواية أخرى إلى أن زينب (رضي الله عنها) أخذت الأمان له بعد أن سمعت أن ناساً من المسلمين خرجوا ليضربوا عنقه ، ويأخذوا ما معه من المال عندما علموا بقدوم القافلة . فقالت : "يا رسول الله ، أليس عقد المسلم وعهدهم واحداً ؟ قال : بلى . قالت : فإني أشهد الله أنني قد أمنت أبا العاص ، فخرج الناس غزلاً فقالوا : يا أبا العاص ، أنت في بيت من بيوت قريش ، وأنت ختن رسول الله ﷺ ، فأسلم على هذه الأموال التي معك تصير لك . قال : أتأمرونني أن أفتح ديني بغدرة ! فانطلق فأتى مكة فدفع إلى كل ذي حق حقه" (65) .

وتشير رواية ابن هشام إلى أن الرسول ﷺ ، كلم أصحابه بشأن أموال أبي العاص التي غنمها المسلمون وترك لهم أن يردوها إليه إذا شاءوا ذلك ، وإلا فلا ، وقال لهم ﷺ : "إن هذا الرجل مّا حيث قد علمتم ، أصبتم له مالاً ، فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به ، فقالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى أن الرجل ليأتي بالدلو ، يأتي الرجل بالشنّة * ، وبالأداة * ، وحتى إن

أحدهم ليأتي بالشظاظ * ، حتى ردوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئاً . ثم احتمله إلى مكة" (66) .

وقد بلغ أبو العاص في أمانته انه عندما وصل مكة ، أعطى لكل ذي مال من قريش حقه ، ووفى الذين كانوا مشتركين معه في التجارة ، ولم يبق لأي شخص في مكة حقاً عليه . عندئذ أعلن إسلامه ، حيث قال لهم : "يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ، قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً ، كريماً قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني من الإسلام عنده - أي يقصد عند محمد ﷺ - إلا تخوفي أن تظنوا أن أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ" (67) .

وفي رواية الواقدي قال أبو العاص لأهل مكة أسلمت في المدينة ، ولكن الذي منعني أن أقیم فيها خشيت أن تظنوا أنني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم ، ثم خرج إلى المدينة (68) ، وعن ابن اسحاق قال : حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : رد الرسول ﷺ زينب (رضي الله عنها) إليه بالنكاح الأول ، ولم يحدث شيئاً بعد ست سنين (69) . ويعارضه حديث عمرو بن شعيب انه ردها عليه بنكاح جديد ، ويمكن الجمع بينهما انه ردها عليه على مثل النكاح الأول في الصداق مثلاً (70) ، وقد كان إسلامه في سنة (7هـ/628م) من الهجرة (71) .

وفاته :

كانت وفاة أبو العاص بن الربيع في سنة (12هـ/633م) في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ ، وأوصى إلى الزبير بن العوام ، وليس لأبي العاص عقب إلا من قبل ابنته مريم التي تزوجت من محمد بن عبد الرحمن بن عوف وولدت له القاسم ، وللقاسم هذا عقب باق (72) . أما بالنسبة للسيدة زينب زوجته فقد كانت وفاتها في مستهل سنة (8هـ/629م) ، متأثرة بعلتها التي لزمته منذ أن خرجت من مكة مهاجرة إلى أبيها ، وقد كان سبب هذه العلة هو خشيتها من هبار بن الأسود عندما روعها برمحه ، ونخس به الراحلة ، فخافت ، وسقطت زينب (رضي الله عنها) على صخرة وهي حامل فسقط جنينها ، وأصيبت بعلة لازمتها حتى توفيت في المدينة (73) .

الهوامش :

- (1) محمد بن سعد بن منيع الزهري ، كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2001م ، : 5/5 .
- (2) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، مصر ، 1969م : ص 141 ؛ أبو محمد علي بن احمد بن حزم ، جوامع السيرة النبوية ، ط1 ، مراجعة : نايف العباس ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، 1984م : ص 35 .
- (3) ابن سعد ، الطبقات : 5/5 .
- (4) أبو عبد الله بن عبد الله الزبيري ، نسب قريش ، تصحيح : ليفي بروفينسال ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1976م : 231/7 .
- (5) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، القاهرة ، (د - ت) : 23/1 .
- (6) سورة القلم : الآية : (4) .
- (7) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ، مختصر تفسير ابن كثير ، تعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط1 ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، 2004م : 345/3 .
- (8) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، الاشتقاق ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مصر ، 1958م : 82/1 .
- (9) ابن سعد ، الطبقات : 8/5 .
- (10) ابن قتيبة ، المعارف : ص72 .
- (11) أبو جعفر محمد بن حبيب ، المحبر ، تصحيح : ايلزه ليختن شتير ، بيروت ، (د - ت) : ص99 .
- (12) الزبيري ، نسب قريش : 157/5 - 158 .
- (13) ابن حبيب ، المحبر : ص99 .
- (14) المصدر نفسه : ص99 .
- (15) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : لجنة من العلماء ، ط1 ، بيروت ، 1983م : ص78 .
- (16) المصدر نفسه : ص78 .
- (17) الزبيري ، نسب قريش : 158/5 .
- (18) ابن دريد ، الاشتقاق : 82/1 .
- (19) ابن حزم ، جمهرة : ص78 .
- (20) المصدر نفسه : ص78 .
- (21) أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، (د - م) ، (د - ت) : ص45 ؛ محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، السيرة النبوية ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1927م : ص32 .
- (22) ياسين بن خير الله العمري ، الروضة الفحاء في تواريخ النساء ، تحقيق : رجاء محمود السامرائي ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 1987م : ص219 - 220 .

- (23) محمد بن اسحاق المطلبي ، كتاب السير والمغازي ، تحقيق : سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، 1978م : 82/2 ؛ محمود طعمة حلبى ، نساء حول الرسول ﷺ ، ط14 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2006م : ص28 ؛ هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، مطبعة جامعة الموصل ، 1991م : ص94 .
- (24) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : مصطفى السيد وطارق سالم ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د - ت) : 49/2 .
- (25) ابن حزم ، جمهرة : ص77 .
- (26) الطبري ، تاريخ : 49/2 .
- (27) ابن سعد ، الطبقات : 7/5 .
- (28) ابن حبيب ، المحبر : ص53 ؛ جميل إبراهيم حبيب ، القول الجازم في نسب بني هاشم ، مكتبة دار الكتب العلمية ، بغداد ، 1987م : ص39 .
- (29) يوسف بن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاري ، مصر ، (د - ت) : 1134/3 .
- (30) ابن حبيب ، المحبر : ص53 ؛ ابن حزم ، جوامع السيرة : ص35 .
- (31) ابن عبد البر ، الاستيعاب : 1788/4 .
- (32) المصدر نفسه : 1788/4 - 1789 ؛ ابن سعد ، الطبقات : 39/10 - 40 .
- (33) ابن كثير ، السيرة النبوية ، تصحيح : محمد عمر الدمياطي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005م : ص743 .
- (34) ابن حبيب ، المحبر : ص53 ؛ ابن سعد ، الطبقات : 31/10 .
- (35) ابن إسحاق ، السير والمغازي : 245/5 - 246 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب : 1789/4 .
- (36) ابن كثير ، السيرة : ص743 .
- (37) ابن حزم ، جمهرة : ص78 .
- (38) ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، السيرة النبوية ، ضبط : طه عبد الرؤوف سعد ، طبعة جديدة ، دار الجيل ، بيروت ، (د - ت) : 218/2 .
- (39) المصدر نفسه : 257/2 ؛ وينظر : محمد رضا ، محمد رسول الله ﷺ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1975م : ص174 .
- (40) المصدر نفسه : 215/2 ؛ ابن سعد ، الطبقات : 17/2 .
- (41) ابن هشام ، السيرة : 209/2 .
- (42) ابن سعد ، الطبقات : 17/2 .
- (43) ابن قتيبة ، المعارف : ص142 .

- (44) ابن هشام ، السيرة : 208/2 – 252 ؛ ابو عمرو الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بيروت ، 1969م : 161/4 ؛ عمر بن الوردى ، تنمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : احمد رفعت ، بيروت ، 1970م : ص15 ؛ وينظر : الشرايبي ، نهال خليل ، مغازي رسول الله ﷺ لموسى بن عقبة ، ط1 ، دار ابن الاثير ، الموصل ، 2007م : ص131 .
- (45) ابن قتيبة ، المعارف : ص142 ؛ ابن هشام ، السيرة : 219/2 .
- (46) ابن هشام ، السيرة : 215/2 .
- (47) المصدر نفسه : 214/2 .
- (48) المصدر نفسه : 215/2 .
- (49) محمد بن عمر الواقدي ، كتاب المغازي ، تحقيق : مارسدن جونز ، دار المعارف ، مصر ، 1964م : 139/1 .
- (50) ابن هشام ، السيرة : 214/2 .
- (51) المصدر نفسه : 215/2 ؛ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ، نساء النبي ﷺ ، طبعة منقحة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1979م : ص51 .
- (52) ابن هشام ، السيرة : 215/2 ؛ وينظر : آيتين دينيه ، محمد رسول الله ، ترجمة : عبد الحليم محمود ، القاهرة ، 1958م : ص266 .
- (53) السيرة : 215/2 ؛ الطبري ، تاريخ : 50/2 .
- * واشنجتون آرفنج ، حياة محمد ، ترجمة : علي حسني الخربوطلي ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1966م : ص154 .
- (54) ابن هشام ، السيرة : 215/2 ؛ الطبري ، تاريخ : 50/2 ؛ وينظر : Caillaume , A. , The Life of Mohammed , Pakistan , 1974 , 314 – 315 .
- (55) ابن هشام ، السيرة : 215/2 – 216 ؛ الطبري ، تاريخ : 50/2 – 51 ؛ وينظر عن نسب كنانة : ابن حزم ، جمهرة : ص77-78 .
- (56) ابن هشام ، السيرة : 217/2 .
- (57) المصدر نفسه : 217/2 – 218 .
- (58) المصدر نفسه : 218/2 .
- (59) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد : 109/2 ؛ ابن كثير ، السيرة : ص373 .
- (60) ابن هشام ، السيرة : 218/2 ؛ ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد : 109/2 .
- (61) ابن كثير ، السيرة : ص373 ؛ شوقي أبو خليل ، أطلس السيرة النبوية ، ط4 ، دار الفكر ، دمشق ، 2006م : ص168 .
- * العيص : منطقة أو مكان يسمى بذلك ، بينه وبين المدينة أربع ليال ، وبينه وبين ذي المروة ليلة . ينظر : ابن سعد ، الطبقات : 83/2 ؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، التنبيه والإشراف ، تصحيح : عبد الله إسماعيل الصاوي ، المكتبة التاريخية ، القاهرة ، 1938م : ص219 .

- (62) الطبري ، تاريخ : 51/2 .
- (63) الواقدي ، مغازي : 553/2 .
- (64) ابن سعد ، الطبقات : 6/5 - 7 .
- (65) المصدر نفسه : 7/5 .
- * الشنة : وهي السقاء البالي . ينظر : ابن هشام ، السيرة : 218/2 .
- * الإداوة : الإناء الصغير من الجلد . ينظر : المصدر نفسه : 218/2 .
- * الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل في عروتي الكيس ، والجمع : أشظة . ينظر : المصدر نفسه : 218/2 .
- (66) المصدر نفسه : 218/2 .
- (67) المصدر نفسه : 218/2 - 219 .
- (68) المغازي : 554/2 .
- (69) الطبري ، تاريخ : 52/2 .
- (70) ابن هشام ، السيرة : 219/2 .
- (71) ابن سعد ، الطبقات : 7/5 .
- (72) المصدر نفسه : 8/5 ؛ وينظر : ابن حزم ، جمهرة : ص78 .
- (73) ابن هشام ، السيرة : 215/2-216 ؛ سالم محمد الحميدة ، سيرة النبي محمد ﷺ ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001م : ص168 .